ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: http://arid.my/j/aijssh

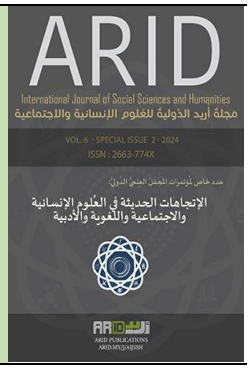

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للعُلومِ الإنسانية والاجتماعية

عدد خاص (2)، المجلد السادس، مارس 2024

Speech act theory

(A textual study in the light of the Noble Qur'an)

Thameena Ahmed Heilan

University of Samarra- Collage of Education- Arabic Department- Iraq-salahaddin

نظرية الأفعال الكلامية

(دراسة نصية في ضوء القرآن الكريم)

ثمينة احمد هيلان

جامعة سامراء- كلية التربية - قسم اللغة العربية- العراق- صلاح الدين

thameena.ahmed@uosamarra.edu.iq
arid.my/0004-5574
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2024.s.68

ARTICLE INFO

Article history:
Received 15/08/2023
Received in revised form 11/01/2024
Accepted 13/02/2024
Available online 01/03/2024
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2024.s.68

ABSTRACT

This research deals with the most important theory in pragmatic linguistics, which is the theory of speech acts. Its definition, origin and development, and the most important differences between its founders, John Austin and John Searle. With clarification of the most important actions of this theory, its types, and its applied models in the space of various Qur'anic texts, and specifying its semantic and pragmatic implications and interpretations. Based on the books of interpretation and an explanation of the reasons for the revelation, through the study of some Quranic discourse and its reading in the light of this modern linguistic trend in analysis and interpretation. Based on Searle's trends and conventions and following his analytical approach in this field due to the novelty of his propositions and their launch from the precise and advanced cognitive foundations of Austen's visions, and for her fame in the deliberative field. The research concluded that the theory of speech acts is the founding theory of deliberative linguistics, and it was established as a result of the dispute over the linguistic sentence (creation and news), and the extent to which it represents thought. He also concluded that John Austin is the first founder of the theory of speech acts, while Searle is considered the most scholarly explanation of its dimensions, a detailed explanation of its totality, and a link to it with other sciences. Finally, he concluded that the verbal acts found a great echo in the Qur'anic space in their direct and indirect directions. Because the Qur'an represents the communicative and interactive reality between individuals at all times and places.

Keywords: speech acts, pragmatics, Austin, Searle.

الملخص

يتناول هذا البحث أهم نظرية في اللسانيات التداولية، وهي نظرية الأفعال الكلامية، فيعرف بها، وبنشأتها، وبتطورها، وأهم الاختلافات بين مؤسسيها جون أوستين وجون سيرل، مع توضيح أهم أفعال هذه النظرية وأصنافها ونماذجها التطبيقية في فضاء النصوص القرآنية المتنوعة، وتحدد مضامينها وتأويلاتها الدلالية والتداولية استنادا إلى كتب التفاسير وبيان أسباب النزول، من خلال دراسة بعض الخطاب القرآني وقراءته في ضوء هذا الاتجاه اللساني الحديث في التحليل والتفسير. مستندا إلى توجهات سيرل واصطلاحاته واتباع نهجه التحليلي في هذا الميدان لحداثة طروحاته وانطلاقها من الأسس المعرفية الدقيقة والمتطورة لرؤى أوستن، ولشهرتها في الحقل التداولي، وقد خلص البحث إلى أن نظرية الأفعال الكلامية هي النظرية المؤسسة للسانيات التداولية، وقد تأسست نتيجة الخلاف حول الجملة اللغوية (الإنشاء والخبر)، ومدى تمثيلها للفكر. كما خلص إلى أن جون أوستين هو المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية، بينما يعتبر سيرل أكثر العلماء شرحا لأبعادها، ومفصلا لمجملها، ورابطا لها بالعلوم الأخرى. وخيرا خلص إلى أن الأفعال الكلامية وجدت صدى كبيرا لها في الفضاء القرآني باتجاهيها المباشر وغير المباشر؛ لكون القرآن يمثل الواقع التواصلي والتفاعلي بين الأفراد في جميع الأزمان والأماكن، بالإضافة إلى قابليته للتأويل وفق حاجات البشر المستجدة، وثراء ميدانه التفسيري، بحيث يقدم زادا مفاهيميا يتناغم مع جميع الموضوعات والميادين الحياتية لشمولية مضامينه وسعة مغازيه.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، التداولية، أوستين، سيرل.

المقدمة:

أصبحت نظرية الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الدراسات التداولية L'acte de parole، ويعد الفيلسوف الإنجليزي "جون أوستين" هو المؤسس الأول لهذه النظرية؛ ولكنها خضعت على يد تلميذه "سيرل" إلى الكثير من التعديل والتقويم؛ مما أخصبها وعمق مفاهيمها. ويبدو عند تفحص الظواهر اللغوية التي استقطبت اهتمام اللغويين والمفسرين العرب في معالجاتهم اللغوية للنص القرآني، نزوع توجهاتهم البحثية والتحليلية إلى الإنضواء تحت الدراسة القواعدية المعيارية أو الدلالة المعجمية أو الدلالة المقامية التي استقوها من خلال تمعنهم في البحث النحوي والبلاغي وحيثياتهما، ولا ننكر أن لهذا التوجه ظلاله وأثره في تفسير الخطاب القرآني، ولكننا بحاجة إلى الدراسات البحثية التداولية، والوقوف عند الأصناف الفعلية الكلامية، والطاقات الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وغيرها من المعطيات والآليات الخطابية التداولية للأفعال الكلامية بمختلف أصنافها ومرتكزاتها لدراسة النص القرآني؛ بحيث تكون بمثابة قراءة جديدة للخطاب القرآني، الذي تجسدت فيه محاور الأفعال الكلامية أوضح تجسيد، وهذا تحديدا هو الهدف من هذا البحث.

مشكلة البحث:

تكمن المشكلة الأساسية للبحث في قلة الدراسات التداولية التي اهتمت بدراسة الخطاب القرآني وفق معطيات نظرية الأفعال الكلامية، رغم أن قراءة النص القرآني وفقا لهذا الطرح من شأنه أن يكشف أبعاد العلاقة بين علم اللغة النصي والدراسات القرآنية، والتي يبدو جليًا أنها علاقة تكامل وتلاحم، ليس وفقا للهوى، ولكن من خلال التطبيق.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من إنه محاولة حثيثة للوقوف عند الأصناف الفعلية الكلامية، والطاقات الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وغيرها من المعطيات والآليات الخطابية التداولية للأفعال الكلامية بمختلف أصنافها ومرتكزاتها لدراسة النص القرآني؛ بحيث تكون بمثابة قراءة جديدة للخطاب القرآني.

أهداف البحث:

1- توضيح مفهوم نظرية الأفعال الكلامية، والتعريف بمؤسسها، وتطورها.

2- توضيح الفرق بين مؤسسي النظرية جون أوستين وجون سيرل.

3- محاولة تطبيق آليات النظرية المطورة على نصوص القرآن الكريم.

منهجية البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي والوصفي التحليلي.

المبحث الأول:

نظرية الأفعال الكلامية، نشأتها، وتطورها:

تعّد "نظرية الأفعال الكلامية" من أهم النظريات التي قامت عليها الدراسات التداولية، وترجع البدايات الأولى لنظرية الأفعال الكلامية إلى فلاسفة اللغة الذين أسهموا بشكل مباشر في نشأتها وتطورها. وقد دفعهم شغفهم في دراستهم للغة إلى التوصل إلى فهم أفضل لكيفية عمل الذهن في تصوره للعالم، وقد توصلوا إلى أن اللغة الطبيعية هي الوسيط الأمثل الذي اعتمده الإنسان في نقل أفكاره، وتجسيد قصده؛ لتحقيق الفهم والإفهام مع بني جنسه. ولكن يبدو أن دورها لم يقتصر على نقل الخبر ووصف الواقع؛ بل يتم توظيفها أيضا لتنجز أعمالا لا يمكن تأديتها من دونها.

ولكن ترجع النشأة الحقيقية لظهور نظرية الأفعال الكلامية، التي هي في جوهرها نظرية تُعني بالدرجة الأولى بالأفعال المتضمنة في القول، إلى المحاضرات التي كان يلقيها جون أوستين في جامعة هارفارد، في سنة 1955. وقد توجت هذه المحاضرات بإصدارها في كتاب، يحمل عنوان: كيف ننجز الأفعال بالكلمات(How to Do things with words) ، طبع في سنة 1962، في بريطانيا، بعد وفاته، وترجم للفرنسية عام 1970م، والذي يعد شهادة ميلاد حقيقية لنظرية الأفعال الكلامية. وقد انتقد أوستين في كتابه مذاهب الفلاسفة الكلاسيكيين أصحاب المنطق الصوري، وعلى رأسهم أرسطو وكانط، وذلك حين استبعدوا الجمل ذات القالب الإنشائي من دراسة المنطق، واكتفوا بدراسة الجمل الخبرية، التي يمكن أن يصاغ فيها الفكر الإنساني صوغا صحيحًا حسب زعمهم. فيما واصل تلميذه "جون سيرل" تنظيم أفكار أستاذه وتبنى الكثير من مقترحاته، وخاصة في كتابه: (الأفعال اللغوية) (Speech acts)، الذي صدر سنة 1969، والذي ترجم إلى الفرنسية أيضًا سنة 1972م. كما أن من أبرز رواد هذه النظرية "فيتغنشتاين Wittgenstein" في مرحلته المتأخرة التي يعبر عنها كتابه "بحوث فلسفية Investigations Philosophical "، و "رايل Ryle " في كتابه "مفهوم العقل Concept of Mind".

كما تناول العلماء العرب (نحاة، وبلاغيين وأصوليين) نظرية الأفعال الكلامية بالبحث والتحليل في باب الخبر والإنشاء؛ حيث اهتموا بهذه الظاهرة اهتماما كبيرا، وتعمقوا في بحث أسسها ومبادئها ومعانيها المختلفة (بن عمرة، 2016 أ)

وقد سقط كل هؤلاء فيما كان يسميه أوستين وهم الوصف (descriptive fallacy) الذي كان يدافع عنه التيار اللغوي السائد، وتنبأ بأن ملاحظاته هذه ستحدث ثورة في فهم طبيعة اللغة ووظيفتها. (Austin, 1962 a)

- **أولًا "أوستين" وجهوده في نظرية الأفعال الكلامية:**

أضحى مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية، "L'acte de parol " والذي يعد أوستين المؤسس الأول لهذه النظرية، "فهو يرى أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار فحسب، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صيغة اجتماعية"(بالخير ،2016)

يؤيده في ذلك باتريك شارودو (Patrick Charaudeau) حيث يقول: " القول هو بلا شك عملية نقل المعلومات إلى الآخرين حول الموضوع الذي نتكلم عنه، ولكنه في الوقت ذاته "فعل" عن طريق محاولة التأثير في المتلقي" (Patrick, 2002)

أي أن الوظيفة الأساسية للغة ليست في وصفٍ ما، ولا في نقل معلوماتٍ مجردة، من المتكلم إلى السامع، بل تكمن وظيفتها الأساسية في التأثير في المتلقي. وتقول أوركيوني" إن الكلام هو بدون شك تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا تحقيق لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد من شأنها تغيير وضعية المتلقي، وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي، وينتج عن ذلك أن فهم قول معين يعني التعريف بمحتواه الإخباري، وتوجهه الدلالي، أي قيمته وقوته الكلامية" (Orécchion, 2002).

1- تصنيف أوستين للعبارات اللغوية:

وقد صنف أوستين العبارات اللغوية إلى صنفين هما:

1- جمل خبرية وصفية Constative:

تتمثل في جملة الوقائع الخارجية التي يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب، وهو بهذا يخلص إلى وجود جمل وصفية إثباتية أو تقريرية يمكن أن تكون كاذبة أو صادقة فقولنا مثلًا أن الأرض تدور حول نفسها فهذا يمثل فعلا إخباريًا يتأكد صدقه من خلال مطابقته للواقع.

2- جمل إنجازيه أدائية Performative:

هي جمل لا يصلح لها معيار الصدق والكذب، ولكن يصلح لها معيار النجاح أو الإخفاق، وهي جمل لا تعكس واقعا موصوفا بقدر ما هي أفعال منجزة من المتكلم أو المتلقي، فهي أفعال لا تصف الواقع، ومهمتها أن تحض على فعل أو تنهى عنه، ومن خصائصها أنها جمُل محكومة بالتلفظ بها؛ حيث أن نطقها سبب في إنجاز الأفعال المبنية عليها، كما أن لهذه العبارات الإنجازية شروطاً لا تتحقق إنجازيتها دونها، وهي: (بن عمرة، 2016 ب)

- أن يكون الفعل فيها منتميا إلى مجموعة الأفعال الإنجازية (وعد، سأل، قال، حذر).
- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلم.
- أن يكون زمن دلالتها في المضارع.

ولا تكون الجمل الأدائية performatives موفقة لديه إلا إذا تحققت لها الشروط التكوينية الملائمة فإذا لم تتحقق كان ذلك إيذانا بإخفاق الأداء، وهي شروط غير لازمة لأداء الفعل، ولكنها لازمة لأدائه أداءً موفقًا، وإلا كان هناك إخفاق في أدائه، وتتمثل شروط الملاءمة في العناصر التالية (Austin, 1962 b)

1- يجب أن يكون هناك وجود إجراء عرفي مقبول، يؤدي إلى أثر عرفي محدد كالزواج والطلاق، وذلك يقتضي التلفظ ببعض الكلمات من قبل بعض الأشخاص في ظروف محددة.

2- أن يؤدى هذا الإجراء أداءً صحيحا من كل المشاركين به، أي يكونوا مؤهلين لتنفيذه.

3- يجب أن يكون هؤلاء المشاركين وظروفهم مناسبين للموقف الذي هم فيه.

4- أن يكون التنفيذ كاملا.

وأما الشروط القياسية فهي :

- أن يكون المشارك في الإجراء صادقا.
- أن يلتزم بما يلزم نفسه به.

وقد لاحظ أوستين أن هذه الشروط الأربعة الأولى لازمة لأداء الفعل، فإذا تخلف أحدها فإن هذا يؤدي إلى الإخفاق في أداء الفعل، بينما يؤدي تخلف أحد الشرطين الأخيرين إلى الإساءة في أداء الفعل. ولكن تبين لأوستين فيما بعد أن كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأفعال الأدائية، ولها قيمة إنشائية، بالرغم مما بذله من جهود في التمييز بينهما، مما جعله يعيد التفكير بشأن التساؤل المركزي: "بأي معنى يعد قولنا شيئا ما إنجازا له؟"، و"بأي معنى ننجز شيئا ونحن نقول شيئا ما؟".

وفي سعيه للإجابة عن هذا التساؤل، قدم أوستين مفهومه للفعل الكلامي. فكل تلفظ، حسبه، ينطوي على ثلاثة أبعاد (Austin, 1962 c)

1- **الفعل اللفظي:**

هو مجرد إصدار إشارات صوتية حسب سنن اللغة، فهو التلفظ بجملة من المفردات، مستقاة من معجم لغة بعينها، مرتبة ترتيبا صحيحا، وخاضعة لنظام نحوي محدد؛ فتنتج معنى واضحا، هو المعنى الأصلي، وهذا الفعل يصاحب جميع حالات التلفظ؛ ولكنه وإن أفاد المعنى الأصلي، فإنه يضل غير كاف لإدراك أبعاده ومراميه.

2- الفعل الإنجازي:

هو الفعل الذي يقوم على إتمام عمل آخر عبر القول، وليس مجرد التلفظ به، ويتمثل في الدلالات المتضمنة في القول، والتي هي ليست الدلالة الأصلية، ولكنها حاصل الدلالة الأصلية، أي هي دلالات فرعية تتحدد بضروب السياق التي تحيط بالعملية التخاطبية. وقد لاحظ أوستين في هذه الحالة أن الفعل يتوفر على خاصية زائدة، سماها خاصية «القوة»، فنتج له مفاهيم جديدة، وصاغ لها مصطلحات جديدة؛ مثل: قوة الإنجاز، وقوة الكلام.. وهكذا.

3- الفعل التأثيري:

هو فعل قصدي، ويتمثل في إحداث تأثيرات ونتائج في المخاطبين، ويستدعي كل قول في الواقع من هذه الأقوال قوة إنجازية ولكن بدرجات مختلفة. وهو فعل يتمثل فيما يرمي إليه المتكلم من أغراض ومقاصد. ويقف السامع على مقاصد المتكلم من خلال تعليل شبكة واسعة من الظروف والملابسات السياقية، التي تميل بالقصد إلى هذه الجهة أو تلك. ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن المستمع قد يفشل في الوصول إلى مقاصد المتكلم، وهنا يجد المتكلم نفسه مضطرا إلى أن يصوغ ملفوظه على نحو آخر، أكثر وضوحا ومناسبة. وعلى أي حال فأن الصياغة اللفظية لفعل الأمر.

على سبيل المثال، قد تخرج إلى أفعال غرضية متعددة حب سياق القول (كالالتماس، والدعاء، والتمني، والتعجيز، والتهديد، والتحقير، والتسوية، والإباحة، والامتنان. (عبد السلام، 2001) وهكذا يفهم المتلقي لفعل الأمر في قوله تعالى (اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) على أنه هديد ووعيد. (الرازي،1981)

وهكذا يكون أوستين قدم تصورا جديدا لتقسيم الجملة في الأفعال الكلامية، تقوم فيه ثنائية الجملة الخبرية والجملة الإنشائية على فكرة ثنائية فعل التلفظ وفعل الإنجاز، أي تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملفوظية والمتلفظ، ولقد أولى أوستين عنايته التامة للفعل الإنجازي، حتى أصبح نواة هذه النظرية.

- **2- تصنيف أوستين الأفعال الإنجازية:**

واستنادا إلى مفهوم القوة الإنجازية ميز أوستين بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية: (عبد الحق، 1993)

1- أفعال الأحكام (Verdictives):

تكمن الأفعال المتعلقة بالأحكام في التلفظ بنتائج رسمية أو غير رسمية بناء على دليل أو سبب يتعلق بقيمة أو واقعة، كالأفعال التي تصدر في حالة الحكم في قضية ما، كما في حالة الأحكام التي يصدرها القضاة في المحاكم، أو الحكام في الملاعب، وفي كل قضية تتعلق بقيمة أو واقعة خلافية تتاج إلى حكم في هذا الإتجاه أو ذاك. ولا يشترط في هذا الحكم أن يكون نهائيا، فقد يكون حكما تقييميا، كالحكم الذي يصدره ناقد فني على لوحة زيتية، أو مجد متفرج على هذه اللوحة. ومن أمثلة هذه الأفعال أحكام الإدانة والتبرئة والتقدير. وهكذا. ومن أمثلة أفعالها: يقيم (value)، يقيس (measure)، يصف (describe).. وهكذا.

2- أفعال الممارسة (Exercitives):

يتحقق فعل الممارسة من خلال إصدار حكم فاصل أو قرار لصالح أو ضد صيرورة حدث معين، وهي أفعال تتعلق بممارسة السلطة والنفوذ، ومن أمثلتها: يطلب، يترشح، يعطي، يوجه.. وهكذا.

3- أفعال التعهد/ الإلزامية (Commissives):

وفيها يتعهد المتكلم بمسلك معين للفعل. ويندرج فيها التصريح وإعلان النية والقصد. وما إلى ذلك. ومن أمثلة تلك الأفعال: يعد، يتمنى، يقسم، يضمن، وغيرها.

4- أفعال السلوك (Behabities):

وتتمثل في ردود الأفعال على سلوكيات الآخرين، وتعبيرات المواقف الخاصة بسلوك سابق لشخص آخر أو سلوك على وشك الحدوث، وهذه الأفعال عديدة ومتنوعة. وهناك ارتباطات عديدة بين التعبير عن المشاعر والتعبير باعتباره تنفيسا عن المشاعر. ومن أمثلة ذلك: أفعال الاعتذار، أفعال الشكر، أفعال التعاطف، أفعال التوجهات، أفعال التحية، أفعال التمني، أفعال التحدي.

5- أفعال الإيضاح (Expositives):

وهي الأفعال التي تعنى بشرح المواقف ووجهات النظر، وإجراءات الحجاج، وتوضيح الاستخدامات والمراجع. ومن أمثلة الأفعال التفسيرية التي أوردها أوستين: يؤكد، ينكر، يصف، يصنف، يجيب، يعترض على.. وهكذا.

يجب أن نلاحظ أن هذه التقسيمات ليست تقسيمات صارمة؛ لأن أوستين ذكر مجموعة كبيرة من حالات التداخل، التي تتداخل فيها الأفعال الكلامية، الأمر الذي أدى إلى وجود نوع من الخلط الذي يمكن أن يقع مثلا بين أفعال الأحكام وأفعال الممارسة، فالحدود بينهما لا تبدو جلية، وكذلك بين أفعال الأحكام وأفعال التعهد؛ حيث يوجد الفعل وعد في كل منهما.

ولكن رغم هذا الخلط والثغرات التي اتسمت بها نظرية أوستين إلا أنه لا يمكن إنكار حقيقة أن أوستين هو أول من وضع المبادئ الأساسية والمفاهيم المركزية لنظرية الأفعال الكلامية.

- **ثانيًا: تطور نظرية الأفعال الكلامية على يد "سيرل":**

طور سيرل نظرية أستاذه أوستين، وأضاف عليها بعدين وهما المقاصد والمواضعات؛ فالأعمال اللغوية، والجمل تعتبر وسيلة تواضعية للتعبير عن المقاصد وتحقيقها، وهذا المظهر كان حاضرا لدى أوستين لكن طوره تلميذه بشكل مختلف.

فقد اهتم سيرل بالأعمال المتضمنات في القول وشكك في وجود أفعال تأثيرية، وتمثل إسهامه الرئيس في التمييز داخل الجملة بين "ما يسميه القوة المتضمنة في القول، وما يتعلق بمضمون الفعل أو ما يسميه بواسم المحتوى القضوي (act propositionel). فإذا كنا إزاء جملة مثل: "أعدك بأن أحضر غدا" فإن أعدك هي "واسم القوة المتضمنة في القول".

1-تقسيمات الأفعال الكلامية عند سيرل:

أعاد سيرل تقسيم الأفعال الكلامية وميز بين أربعة أقسام وهي: (خليفة، 2009)

- فعل التلفظ (الصوتي والتركيبي).
- الفعل القضوي (الإحالي والجملي).
- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين).
- الفعل التأثيري (على نحو ما فعل أوستين).

ربط سيرل الفعل الكلامي بالعرف اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، فقد كان اضطراب جون أوستين، وعدم دقته في تصنيف الأفعال الإنجازية دافعا لتلميذه جون سيرل لتقديم تعديلات مهمة على هذه الأفعال.

2-شروط الملائمة عند سيرل:

وضع سيرل أيضا شروطا حتى ينجح الفعل الكلامي، ومنها:

1-شروط المحتوى القضوي Contenue propositionnelle:

لا بد أن يكون للكلام معنى قضوي يقوم على مرجع، ومتحدث به (خبر)، والمحتوى القضوي هو المعنى الحرفي الأصلي للجملة؛

2-الشروط التمهيدية Préparatoire:

يتحقق بقدرة المنجز على إنجاز الفعل لحظة الفعل، لكن لا يكون واضحا لدى الطرفين وهل أن الإنجاز سوف يتم أم لا؛

3-شرط الإخلاص Sincertive:

لا بد أن يخلص الفاعل بقوله، فلا يزعم القدرة على الإنجاز مع عدم الاستطاعة؛

4-الشرط الأساسي Essentielle:

محاولة المتكلم إنجاز فعل التأثير في المستمع لينجز الفعل.

ويفضي بنا الحديث عن شروط نجاح الفعل الكلامي التي تحتم اختلاف فعل إنجازي عن الآخر إلى الحديث عن تصنيف جديد عند سيرل، فقد كان سيرل Searle واعيا وعيا شديدا بالنقائص التي اكتنفت تصنيف أوستين Austin . ومن هنا قدم هذا التصنيف الجديد الأفعال الكلامية، وقد أفاد سيرل من تقسيم السالف للأفعال الإنجازية بالنظر إلى الغرض المنجز وشرط الإخلاص واتجاه المطابقة، جاعلا منها خمسة أنواع رئيسية. هي: (Searle,1969)

- **أفعال التقرير (Assertives):**

إن الغرض من أفعال التقرير هو قرار المتكلم بكون شيء ما هو قضية واقعة، وبصدق القضية المعبر عنها. وكل الأفعال المنتمية إلى هذا القسم قابلة للتقييم من منظور الصدق والكذب. ويلاحظ سيرل أن توجه المطابقة يكون من الألفاظ نحو الواقع الخارجي. ومن المهم التأكيد على أن كلمات مثل «أعتقد» «ألتزم» تهدف إلى تحديد الأبعاد؛ أي تحديد المحتوى القضوي للجملة. إنها، هنا، قابلة للتحديد أكثر من كونها محددة، مثل: سيأتي غدا.

- **أفعال التوجيه (Directives):**

إن الهدف الإنجازي من هذه التراكيب هو محاولة التكلم حمل المتلقي على فعل شيء ما. يمكن أن يكون هذا الحمل لطيفا كأن أدعوك إلى فعل شيء، أو أقترح عليك فعله. ويمكن أن يكون عنيفا عندما ألح عليك أن تفعله. ويلاحظ سيرل أن توجه المطابقة هنا يكون من الواقع الخارجي نحو الألفاظ. والشرط المطلوب هو «يريد» أو «يتمنى» أو «يرغب». والمحتوى القضوي هو أن يفعل المتلقي فعلا ما في المستقبل.

وأفعال هذه الفئة هي: يسأل، يطلب، يوجه، يتوسل، يدعو، إلخ. ومما هو جدير بالملاحظة أن أفعالا مثل: يجرؤ، يتحدى، ينافس، التي ضمنها أوستين فئة أفعال السلوك، يضمها سيرل إلى هذه الفئة. وكذلك كثير من أفعال الممارسة.

▪ **أفعال الإلزام /التعهد (Commissives):**

يعترف سيرل بأن تعريف أوستين لأفعال الوعد/التعهد هو تعريف لا يمكن الاعتراض عليه؛ ولذلك اعتمده.. ولكن كان لديه اعتراض بسيط، وهو أن بعض الأفعال التي صنفها أوستين ضمن أفعال الوعد وهي ليست كذلك، مثل: سوف (Shall)، ينوي (intend)، وغيرها. وبالتالي فأفعال الوعد هي الأفعال الإنجازية التي تلزم المتكلم بفعل مستقبلي. ويلاحظ سيرل أن توجه الطابقة هنا هو من الواقع الخارجي نحو الكلمة، وشرط الصدق هو "قصد المتكلم". والمحتوى القضوي هو أن متكلما ما يفعل فعلا في المستقبل.

▪ **أفعال التعبير (Expressives) :**

إن الهدف الإنجازي لهذه المجموعة هو التعبير عن الحالة النفسية، متجلية في شرط الصدق بشأن حالة الوقائع المتجلية في المحتوى القضوي. إن نماذج أفعال التعبير هي: «يشكر»، «يهنئ»، «يعتذر». ويجب ملاحظة أنه في حالة أفعال التعبير لا يوجد هناك إتجاه مطابقة. وحين تأدية فعل التعبير فإن المتكلم لا يحاول أن يكيف الواقع الخارجي مع الألفاظ، ولا يحاول تكييف الألفاظ مع الواقع الخارجي. ولا يفترض إلا صدق القضية المعبر عنها.

▪ **أفعال الإعلان (Declaratives):**

إن السمة المميزة لهذه الفئة هي أن الأداء الناجح لأي عنصر من عناصرها هو الذي يحدث توافقا بين بين المحتوى القضوي والحقيقة الواقعة. إن الأداء الناجح يضمن أن المحتوى القضوي يتوافق مع الواقع الخارجي. فإذا أديت بنجاح فعل تعيينك رئيسا فأنت رئيس. وإذا أديت بنجاح فعل ترشيحك لمنصب فأنت مرشح. وإذا أديت بنجاح فعل إعلان الحرب فالحرب قائمة.

تحدث أفعال الإعلان تغيرا ما في وضع أو حالة الشيء أو الأشياء المشار إليها، استنادا، فقط، إلى أن الإعلان قد أنجز بنجاح. وميز هذا الملمح أفعال الإعلان عن الفئات الأخرى .

وقد أضاف سورل تصنيفا آخر للأفعال الكلامية حين ألح على انقسام الفعل اللغوي إلى قسمين هما: الأفعال المباشرة، وغير المباشرة.

▪ **الأفعال المباشرة والغير المباشرة حسب سورل:**

ـ **الأفعال الكلامية المباشرة:** تتمثل في تلك الأقوال التي تتوفر على تطابق تام بين معنى الجملة ومعنى القول، فالقول في نظر سورل هو شكل من السلوك الاجتماعي الذي تضبطه مجموعة من القواعد، بمعنى أنه يجب أن تتوفر هناك مبادئ يتوقف عليها إنجاز فعل ما أو تقرير سلوك معين ويعرفها سورل بقوله: "الأفعال المباشرة هي الحالات أين يمكن للمتكلم التلفظ بقول ما ويراد منه ما به ".

ـ **الأفعال الكلامية غير المباشرة:** يعد سورل من الأوائل الذين اهتموا بدراسة الأفعال الكلامية غير المباشرة التي عرفها في قوله: "هي الحالات التي يكون فيها معنى القول مخالفا تماما لصيغة الجملة بطرق وكيفيات مختلفة، فالجملة لا تدل على معناها"، وإنما تدل على معنى آخر مخالف لمعناها.

وبهذه التطورات يكون سيرل قد خطا بنظرية الأفعال الكلامية خطوات عملاقة، إذ وسع من مفاهيمها، وشرح أبعادها، ورمم بعض الثغرات الموروثة من عهد مؤسسها الأول أوستين. وبذا يكون قد فتح أبوابًا من المعالجة اللسانية لم تكن معهودة من قبل، ومهد بذلك الطريق لعلماء أسهموا في إثراء الدرس التداولي الحديث، وعالجوا النصوص القرآنية معالجة بلاغية ودلالية وفسروها تفسيرا دقيقا بغية استكناه مقاصدها وأحكامها، وهذا ما ازدخرت به كتب البلاغة والتفسير التي جد مؤلفوها لسبر أغوار هذه النصوص وتبيانها، وكشف أساليبها البلاغية وهيئاتها التركيبية المختلفة، وفي أثناء دراساتهم هذه تفطنوا إلى بعض هذه المفاهيم التداولية ولاسيما في تمييزهم للأسلوب الإخباري والإنشائي، وتحديدهم لأصناف أسلوب الطلب ودلالاتها الأولية والثانوية التي تقترب من بعض أصناف الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل، ومن رؤية سيرل بشأن الفعل المباشر وغير المباشر، وغير ذلك من المضامين والأبعاد التداولية المتعلقة بالأفعال الكلامية ومبادئها التأسيسية والتحليلية التي تبرز في تفسير الخطاب القرآني الذي فاض بتلك الأفعال الكلامية بشتى أنواعها المذكورة سلفا، لكن بتأويلات وشروحات مجملة ومتناثرة بين طروحات القدماء وتحليلاتهم المتفرقة بين أبواب وفصائل لغوية مختلفة.

وفيما يلي نوضح هذه الأفعال وأصنافها ونماذجها التطبيقية في فضاء النصوص القرآنية المتنوعة ونحدد مضامينها وتأويلاتها الدلالية والتداولية استنادا إلى كتب التفاسير وبيان أسباب النزول، بحيث يقوم هذا البحث بدراسة بعض الخطاب القرآني وقراءته في ضوء هذا الاتجاه اللساني الحديث في التحليل والتفسير. وسيعمد البحث في الصفحات التالية إلى استعمال توجهات سيرل واصطلاحاته واتباع نهجه التحليلي في هذا الميدان لحداثة طروحاته وانطلاقها من الأسس المعرفية الدقيقة والمتطورة لرؤى أوستن، ولشهرتها في الحقل التداولي.

المبحث الثاني:

تطبيق نظرية أفعال الكلام على بعض نصوص القرآن الكريم

أولًا الأفعال الكلامية المباشرة:

1- أفعال التقرير/ الإخبار (Assertives):

وقد وردت الأفعال التقريرية أو الإخبارية بأساليب وهيئات تركيبية مختلفة في السياق القرآني، باستعمال التراكيب الاسمية والفعلية بشتى منظوماتها السياقية وأجهزتهما المفاهيمية كوسائل وعناصر تواصلية تبليغية تؤدي وظيفة إيصال المعلومات والمقاصد الشرعية إلى المخاطب، ومثال ذلك قوله تعالى في بيان عظمة الرسول (ص)، وتقرير خلقه ومناقبه ومنزلته عند الله: "***وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ***" ، فأثبت القدير وأخبر بهذا الفعل الإخباري صفات رسوله (ص)، وأثبتها وأقرها بمؤكدات خطابية تقر هذه الحقيقة الواقعة في العالم الخارجي بحيث لا يمكن أن يرد أو ينكر، كما اعترف بذلك ألد خصوم الرسول وأعدائه، فتلحظ في هذا الفعل الكلامي تلك القوى التي حددها سيرل والمتمثلة بالأفعال الفرعية لكل فعل كلامي رئيس وهو(فعل القول)، و(الفعل القضوي الإنجازي) الذي يعكس العلاقات السياقية الرابطة بين الوحدات اللغوية المستعملة في هذا الفعل الكلامي الإخباري، والكامنة في هيئة التركيب الاسمي المثبت المؤكد ذي الحمولة الدلالية الإنجازية بالإسناد

الاسمي الدال على إثبات هذه السجايا الحسنة للرسول، وهذا ما يعبر عنه ب(الفعل القضوي الإنجازي) لاشتماله على قواعد منطق البناء التركيبي والمضمون الإسنادي المنجز، ويتضح ذلك في معرفة سبب نزول هذه الآية بـ "أن قريشا رمت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنون، وهو ستر العقول، بمعنى أن كلامه خطأ ككلام المجنون، فنفى الله تعالى ذلك عنه وأخبره بأن له الأجر، وأنه على الخلق العظيم، تشريفا له ومدحا"... أن الظاهر من الآية أن الخلق هي التي تضاد مقصد الكفار في قولهم مجنون، أي غير محصل لما يقول، وإنما مدحه تعالى بكرم السجية وبراعة القريحة والملكة الجميلة.

2- أفعال التوجيه (Directives):

استغرقت الأفعال التوجيهية الإيجابية (الأمر) والسلبية (النهي) بصورتها المباشرة وغير المباشرة مساحة واسعة في النص القرآني لارتباطهما بالأوامر والنواهي من الأحكام الشرعية، ومنها قوله تعالى: **" وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ "** (القرآن، سورة البقرة: ٢/٤٣)، فقد احتوى هذا النص الكريم على ثلاثة أفعال توجيهية إيجابية مباشرة، لأن بناها السطحية المكونة من النظام البنائي للفعل التوجيهي الإيجابي أي (فعل الأمر)، طابقت بناها التحتية الدالة على الأمر المباشر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والركوع، فقواها الإنجازية حرفية، لإرادة المخاطب المتمثل بالله تبارك وتعالى إيصال قصده التوجيهي بسلطة ربانية إلهية إلى المخاطبين، إيعازا منه بوجوب إنجاز هذه الأفعال وتنفيذها، لاستناد الخطاب التوجيهي عموما إلى الإيعازات الاستدعائية التي يطلقها المخاطب لإيصال المقاصد والمدركات بطاقة وهيئة تأثيرية إلى المتلقي الخاضع لها، بتشكيله المحور الثاني المعروف بالفاعل النفسي (Modal Subject)، الذي ينجز قولا أو فعلا ما يصدره المخاطب الذي يمثل المحور الأول والجوهري في عملية التخاطب وتشكيل القوة الإنجازية والإنتاج الدلالي للممارسات التوجيهية إيجابا أو سلبا. (لطفي،1976)

ويعد النهي من الاستراتيجيات التوجيهية أيضا، وقد فاض الخطاب القرآني بهذا الفعل الكلامي التوجيهي السلبي وارتبط كثيرا بالفعل التوجيهي الإيجابي ووردا متشابكين، ومتداخلين مع بعضهما حتى صعب الفصل بينهما، وهذا راجع لطبيعة القرآن الكريم المرتبط بالجانب التشريعي ونظام المعاملات والعبادات والعقائد، فكان لابد من الأمر لأداء كل الواجبات، ومن النهى للبعد عن كل المحرمات.

كما جاء في نصائح لقمان الحكيم وتوجيهاته لابنه في كتاب الله الكريم: **" يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (18)** (سورة لقمان: ١٨-٣١/١٧)، فتوالت الأفعال الكلامية التوجيهية الإيجابية وهي (أقم، أمر، وانه، واصبر) الفعالة بقواها القولية والقضوية والإنجازية والتأثيرية المعروفة، ثم تبعها الفعلان الكلاميان التوجيهيان السلبيان اللذان تألفت تشكيلاتهما التركيبية من آلية (لا الناهية الداخلة على الفعل المضارع، المتمثلة في (لا تصعر، لا تمش)، ودلالتهما السلبية بادية في الكف عن هاتين الصفتين الذميمتين، "كأنه نهى أن يذل الإنسان نفسه من غير حاجه، ونهاه أن يكون "متبخترا متكبرا" (القرطبي ،2003)

وتوفرت في هذين الفعلين الأفعال الثلاثية المعلومة في التحليل التداولي من الفعل القولي الفيزيائي الصوتي، والفعل القضوي الإنجازي المتضمن للمستوى التركيبي والتشكيلي للفعل السلبي والمستوى الدلالي المدرك بقوة النهي والسلب والكف، والفعل التأثيري باد في امتثال ابن لقمان الحكيم لتوجيهات أبيه ومواعظه، وكذلك اتباع جميع المؤمنين هذه السمات الخلقية الحميدة التي أوردها الخطاب الإلهي نحو الالتزام بكل المناقب والمحامد بهدف توجيه الناس جميعا والابتعاد عن كل المثالب والمفاسد في تصرفاتهم السلوكية، وأتى هذا التوجيه بمقصدية وبنية قضوية مباشرة وبقوة إنجازية حرفية بحيث ترجمت الهيئة الخارجية الهيئة الداخلية ترجمة دقيقة محددة بينة.

3- أفعال الإلزام /التعهد (Commissives) :

لاشك أن الخطاب القرآني قد احتضن كثيرا من أفعال الإلزام، ولاسيما في وصف أهل الجنة والجحيم وما ينتظرهم من الجزاء بوعد المؤمنين بنعم الآخرة، ووعيد المشركين بعذاب أليم، ومن ذلك قوله تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (9)" (سورة المائدة: 9)، الذي ورد فيه لفظ الوعد مباشرة مما أدى أن يكون فعلا كلاميا إلزاميا مباشرا، إذ وعد الله سبحانه عباده المؤمنين الصالحين مغفرة وأجرا بخلودهم في جنات النعيم، وهذا فعل مستقبلي تحققت فيه القوى الفعلية الثلاثية، بتجسيده بالفعل القولي من خلال إبرازه بهيئة صوتية مادية، وتكوين بنيته التركيبية من الإسناد الفعلي في تشكيلة (وعد الله ...)، المبرز للفعل القضوي وفعله الإنجازي الحرفي في الدلالة على إنجاز وعد القدير في الآخرة، وبيان تأثير ذلك في نفوس المؤمنين الذين يمتثلون لأوامر الله وإطاعته عبر الأزمان والدهور فيبقى هذا الوعد منجزا بحكم الفعل التأثيري لهذا الخطاب الإلهي، وقد توضحت المقصدية الخطابية في هذا النص الكريم بقوة إنجازية مباشرة بتوافق البنية السطحية لفعل الوعد ببنيته التحتية، بما يحمله من الدلالات والمغازي الإيجابية المترتبة على الإيمان والعمل الصالح ، فـ "إن الله خبير بما تعملون من الأعمال فيجازيكم بذلك؛ وحيث كان مضمون هذه الجملة التعليلية منبئا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يخاف على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة لذنوبهم وأجر عظيم"(الخلوتي ،2010 أ)

وفي مقابل ذلك نرى الوعيد والتهديد الإلهي للكفار والظالمين والمكذبين، كما أتى في قوله جل شأنه: **"وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (14)"** (سورة ق: ١٤)، فورد لفظ الوعيد بهيئة معجمية تركيبية مباشرة بطاقة إنجازيه حرفية دالة على أحقية وعيد الله العظيم، "أي فوجب وحل عليهم وعيدي وهى كلمة العذاب والوعيد يستعمل في الشر خاصة بخلاف الوعد فإنه يكون في الخير والشر وفي الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى لا تحزن بتكذيب الكفار إياك لأنك لست بأول نبيّ كذب، وكل أمة كذبت رسولها ،واصبر على أذاهم كما صبروا تظفر بالمراد كما ظفروا، وتهديد لأهل مكة يعنى احذروا يا أهل مكة من مثل عذاب الأمم الخالية فلا تكذبوا رسول الله فإن الاشتراك في العمل يوجب الاشتراك في الجزاء"(الخلوتي ،2010 ب)

وهذا الفعل كبقية الأفعال الأخرى تحقق فيه الفعل القولي النطقي، والفعل القضوي والإنجازي المعبر عن المستوى التركيبي السياقي والمستوى الدلالي المباشر لمضمون الوعيد والتهديد المنضوي تحت هذا الخطاب، والفعل التأثيري المحقق في وقوع هذا الوعيد وعاقبته الوخيمة بالمكذبين للرسل السابقين ولرسول الله محمد (ص).

ولا ينتهي أمر هذه الأفعال عند هذا الحد، وإنما يصل إلى الصنف غير المباشر المستثمر في السياق القرآني بشتى التعبيرات والأساليب لبيان وعد الله تعالى للمؤمنين بشرع الله السماوي والسائرين على نهجه، ووعيده وتهديده للكفار والخارجين عن حدود الشرع والرسالة السماوية، إذ إن الأفعال الكلامية الإلزامية لا تأتي على نسق صياغي معياري واحد، فحسب وإنما تتخذ أشكالا بنائية وعناصر معجمية غير مقيدة بالمادة الجذرية لبنيتي (الوعد) و(الوعيد)، فـ "تنوع الأفعال اللغوية ليس محكوما بشكلها اللغوي، بل محكوم بقصد المرسل بالدرجة الأولى، عن طريق المواءمة بين الشكل اللغوي المناسب والعناصر التداولية" (آل صوينت، 2010 أ)

ووردت صور متنوعة للوعيد في الخطاب القرآني بغية هداية الضالين وإصلاح المسيئين، فالوعيد في أسلوب القرآن الكريم يهدف إلى الإصلاح وإيقاظ العقول، وله مقاصد تتمثل في التأثير في أفكار المتلقي وأفعاله، وجعله يخضع لأوامر الله ونواهيه. (بوفرومة،2008 أ)

- **أفعال التعبير (Expressives) :**

لقد احتلت الأفعال الكلامية التعبيرية عموما كثافة معتبرة في السياق القرآني، ووردت بنمطيها المباشر وغير المباشر حسب المقامات والأوضاع التي تمثلها وتعبر عنها، فمن الأفعال التعبيرية النفسية المباشرة، ما جاء في قوله الكريم: **"وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (4) *أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ*"** (سورة ص:6/5)، من تعبير انفعالي نفسي يصور الحالة الداخلية والتوجه النفسي المعبر عنه بفعل التعجب بنية ودلالة، لمجيء مادة (التعجب) المعجمية مرتين في هذا النص القرآني بهيئة فعلية ماضية (عجبوا) وهيئة اسمية (عجاب)، بغية التعبير عن تعجب مشركي مكة ودهشتهم لما طلب منهم الرسول الكريم (ص) الإيمان بالله الواحد القهار، وترك عبادة الأصنام والأوثان.

وقال قتادة: عجب المشركون أن دعوا إلى الله وحده وقالوا: " أجعل محمد المعبودات كلها واحدا، يسمع دعاءنا جميعنا، ويعلم عبادة كل عابد عبده منا (إن هذا لشيء عجاب): أي إن هذا لشيء عجيب " (الطبري، تفسير الطبري)

والفعل التعبيري النفسي هنا شأنه شأن سائر الأفعال الكلامية السابقة تحققت فيه القوى الفعلية الثلاثية، وهي الفعل النطقي المحاط بالتمثيل الصوتي المادي، والفعل القضوي الإنجازي المتمثل بالبعد التركيبي السياقي المكون من البنية الإخبارية التقريرية ذات البعد التأويلي المنجز بدلالة حرفية مباشرة تكمن في التعبير التعجبي الذاتي للكفار الذين نقل القرآن على لسانهم التصريح بهذه الحالة النفسية الداخلية، والفعل التأثيري يبدو في إدراك الرسول(ص) لطبيعة نياتهم وتوجهاتهم الحقيقية بشأن ما أنذرهم به، وبيان موقفهم من شريعته السماوية ورسالته الإلهية.

- **أفعال الإعلان (Declaratives):**

أفاض الخطاب القرآني بمثل هذه الأفعال التي وردت بهيئات متنوعة للاستدلال على الأحكام الشرعية والعرفية المنظمة لجميع ميادين الحياة، مثل أحكام الفرائض الدينية والأحكام الاجتماعية آيات الأحكام المؤثرة في طبيعة حياة الناس، "ويمكن تصنيف جميع آيات الأحكام ضمن هذه الفئة من الأفعال الكلامية" (آل صوينت، 2010 ب)

بالإضافة إلى تلك الأحكام التي يصدرها الله سبحانه بشأن مصير المؤمنين والمشركين وحتى بشأن الكون والطبيعة وما يجري من الأحداث في واقع حياة البشرية ومستقبلهم ومستقبل الدنيا. مثل الأخبار المتعلقة بانشقاق السماء وتكوير الأرض وتسخير البحار وتسيير الجبال، ودكات الأرض والنفخ في الصور وبعثرة القبور والبعث والنشور.. وغير ذلك من الأمور الغيبية والمستقبلية التي يعلن عنها تعالى، ولا يردها راد، ولا يمكن أن يشك فيها أحد لأنها قرارات أزلية حاسمة تحدث في الأزمنة المحددة عنده، فما تلك الأخبار إلا صور من صور الأفعال الكلامية الإعلانية، وهي بمثابة إعلانات وأحكام يخبر بها جل شأنه (دزه يى، الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم أ)

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (النور: 2). الذي ضم حكما شرعيا مباشرا يتعلق بحالة معينة، ويعد هذا الحكم حلا لمشكلة اجتماعية، لتطهير المجتمع من الفساد وحفظ النسل والنسب من الدنس والخلط.

وقد تحقق في هذا الفعل الإعلاني جميع الأفعال الفرعية من فعل القول النطقي، والفعل القضوي والإنجازي الكفيل بتحديد الإطار السياقي والوظيفي والدلالي لهذا الخطاب، إذ إن دلالته الإنجازية محددة ببنيته الحرفية المباشرة لتطابق هيئته التركيبية المكونة من التركيب الإسنادي الاسمي والفعلي، مع هيئته الدلالية المنجزة بهذه التشكيلة المباشرة، والفعل التأثيري يبدو في تنفيذ هذا الحكم في الدول والمحاكم الإسلامية منذ عهد الرسول (ص) والعهود اللاحقة. (دزه يى، الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم ب)

وقد أفاض السياق القرآني بمثل هذه الأفعال الكلامية الإعلانية التي تشتمل على جميع الأبعاد التداولية والقوى الفعلية لها، مما يجعل تحليلها وتفسيرها القولي والقضوي والإنجازي والدلالي والتأثيري كسائر الأفعال المذكورة حسب سياقها اللغوي والموقفي. وجدير بالذكر أن السمة الغالبة على هذه الأفعال الإعلانية، إيرادها بأسلوب مباشر محدد، لكونها تعالج أحكاما وتصدر قرارات تحتاج إلى المباشرية والتحديد الدقيق ليكون الحكم والأمر المعلن واضحا ومحددا.

ثانيًا الأفعال الكلامية غير المباشرة:

لقد تجاوزت الأفعال الكلامية في القرآن الكريم صيغتها المباشرة إلى معنى غير مباشر، وذلك في سياق الإشارة إلى إمكانية مخالفة ظاهر اللفظ لمراد المتكلم، فتتحول الأفعال الكلامية بوجود جملة من القرائن المقالية والمقامية يختارها المرسل لتحقيق قصد معين. وقد ارتبط الوضع بالقصد في أسلوب القرآن الكريم، مما أدى إلى كثرة تلك الأفعال التي تخرج عن حقيقتها وتتجاوز ظاهرها إلى مقاصد أخرى يرمي القرآن الكريم إلى تحقيقها.

فالمرسل يستطيع أن يعبر عن قصده وفق شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يتطابق مع معنى الخطاب ظاهريًا، وقد يعدل عن ذلك فيلمح بالقصد عبر مفهوم الخطاب المناسب للسياق، لينتج عنه دلالة يستلزمها الخطاب ويفهمها المرسل إليه، وهذا يؤدي بنا إلى نتيجة مهمة هي مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد (الشهري،2004 أ)

وهذا يعني أن للخطاب معنى مباشرًا له قوة إنجازية حرفية تدل عليه ألفاظه حسب ما تم التواضع عليه في اللغة، غير أنه قد يمنح السياق للخطاب أكثر من قصد فلم يعد الإخبار هو القصد الوحيد عند المرسل، وإن كان واحدا من مقاصده، فليس القصد هو كل شيء، إذ يختبئ وراءه قصد آخر، اختار المرسل الاستراتيجية التلميحية للدلالة عليه، فلم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر.

والأفعال الكلامية غير المباشرة يحدد معناها بتفسيرها الظاهري، أما قوتها فتحدد بالتحقيق غير المباشر، وقد فسرت هذه المسألة باللطافة والتأدب، بوصفه سببا أساسيا باطنيا لاستخدام الأسلوب غير المباشر، فهو قدرة يمتلكها المتكلم والمستمع معا، كما أوضح "سيرل"، كما اعتبرت عند الآخرين استجابة لدواع سياقية تجعل المرسل يعدل عن استعمال الخطاب المباشر بدوافع معينة كالسلطة أو مراعاة للتأدب، ومن هنا نصل إلى أن الفعل الكلامي غير المباشر يتمثل في تلك الأقوال الخارجة في دلالتها عن مقتضى الظاهر، وهي أفعال سياقية لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن اللسانية والحالية وضروب الاستدلال العقلي. (بوفرومة،2008 ب)

1-أسلوب التأدب:

يستعمل المرسل أسلوب التأدب مراعاة لما تقتضيه بعض الأبعاد. فالبعد الشرعي يملى ضرورة اطراح فاحش القول، والبعد الاجتماعي يستدعي ضرورة احترام أذواق الناس وأسماعهم، أما البعد الذاتي، فهو صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها. (الشهري،2004 ب) ويؤكد" سيرل" أن التأدب من أبرز الدوافع لاستعمال الإستراتيجية غير المباشرة في الطلب.

وقد استعمل هذا النوع في القرآن الكريم في مجال بعثة الرسل إلى أقوامهم، وقد أمروا باستعمال أسلوب التأدب والالتماس، حتى ترق قلوب المدعوين ويستجيبون لدعوتهم، كما هو الحال عند إرسال موسى إلى فرعون في قوله تعالى:

"هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ (15) إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى (16) ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (17) فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ (19)". (النازعات:15-19).

تبدأ الآيات باستفهام للتمهيد وإعداد النفس لتلقي القصة، فلقد بعث الله نبيه موسى إلى فرعون وعلمه الأسلوب المتأدب الذي يتخذ الأولوية في المجال الدعوي الذي يجعل من غير المناسب أن يتوجه إليه بشكل مباشر ليأمره وينهاه مباشرة، ولهذا التزم السياق القرآني هذا الأسلوب لإنجاز الأفعال الواجبة.

2- خروج الأفعال اللغوية عن معناها:

ينجز المرسل أفعالا لغوية غير مباشرة باستعمال أفعال لغوية أخرى لتدل على معنى آخر غير الذي وجدت له في حقيقتها، فتتولد عنها معان أصلية وترد في سياقات تناسب المقام، ويكون ذلك بواسطة ما يسمى بـ "قرائن الحال"، إذ تخترق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه، ويتولد معنى آخر يناسب المقام. (الشهري،2004 ج)

ويمكن الإشارة إلى دور المتكلم في القرآن على مستوى التركيب الخاص به، حيث يمكن أن تنتقل دلالة التركيب كلها من مستوى إلى آخر، فيتحول الأمر مثلا إلى تهديد، كما جاء في قوله تعالى: " **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** " (الإسراء: 64). حيث تحولت صيغة الأمر في هذه الآية من معناها الوضعي إلى معنى مجازي هو التهديد"، ذلك أن المتكلم (الله) لا يمكن أن يقصد أمر الشيطان بغواية البشر، بل يهدده ويستنكر أفعاله.

3-الاستلزام الحواري:

يستعمل المتكلم آلية لا يرتبط فيها اللفظ والقصد برابط لغوي، وإنما يرتبط ببيان القصد على إسهام عناصر السياق الموظفة، فالمتلقي لا يدرك معناها إلا من خلال القرائن وضروب الاستدلال العقلي، كأن يرد المخاطب على السائل ردا لا يصلح حرفيا أن يكون جوابا عما سئل، فيكون بواسطة القرائن قد أجاب عما سئل عنه في مقام التعريض، وهو المصطلح عليه بالاستلزام الحواري، ويشمل الكناية والتلميح والسائل بغير ما يطلب. (بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية)

والتعريض من الآليات الإستراتيجية التلميحية المستعملة عند العرب بكثرة في خطاباتهم، فقد اعتبر من علامات الكفاءة التداولية والنبوغ الخطابي عند المرسل، ودليلا على ذكاء وفطنة المتلقي، يستعمل لغايات معينة ومقاصد متنوعة ومراعاة لما يتطلبه السياق.

ومن أمثلته في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: " **قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (26) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (27)**" (القصص: 27/26). فقد رأت الفتاة من موسى القوة والأمانة، فأشارت على أبيها باستئجاره لرعي الغنم، ففهم أبوها قصدها، فعرض على موسى أن يزوجه إحدى ابنتيه من غير تحديد.

لقد تكلمت الفتاة بخطاب يستلزم أنها معجبة بهذا الرجل، وقد فهم أبوها أنها تقصد شيئا أخر، ولكن منعها الحياء من التصريح فلجأت إلى التلميح بالتعريض عوضا عنه، وبما أنه لا يربط بين لفظ التعريض وقصد المتكلم أي روابط لغوية، فقد فهم الأب قصد ابنته، فعرض على موسى تزويجه إحدى ابنتيه، وقد تيسر التعامل الخطابي بين الأطراف المتحاورة، ذلك أن المتكلم يستعمل التعريض في خطابه متى كان واثقا أن المتلقي يفهم قصده، وفي حالة ما إذا لم يفهم قصده، فسوف يضطر إلى التصريح به لفظا، أو باستعمال علامات غير لغوية، حتى يتفطن المتلقي إلى قصد المتكلم. (بوفرومة،2008 ج)

- **نتائج البحث:**

لقد أفضى بنا هذا الاستعراض الموجز لنظرية الأفعال الكلامية، نشأتها على يد أوستين، وتطورها على يد سيرل، ومداها التطبيقي في الخطاب القرآني إلى طائفة من النتائج تتلخص فيما يأتي: -

1- تعد نظرية الأفعال الكلامية هي النظرية المؤسسة للسانيات التداولية، وقد تأسست نتيجة الخلاف حول الجملة اللغوية (الإنشاء والخبر)، ومدى تمثيلها للفكر.

2- يعتبر جون أوستين هو المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية، بينما يعتبر سيرل أكثر العلماء شرحا لأبعادها، ومفصلا لمجملها، ورابطا لها بالعلوم الأخرى.

3- وجدت الأفعال الكلامية صدى كبيرا لها في الفضاء القرآني باتجاهيها المباشر وغير المباشر؛ لكون القرآن يمثل الواقع التواصلي والتفاعلي بين الأفراد في جميع الأزمان والأماكن، بالإضافة إلى قابليته للتأويل وفق حاجات البشر المستجدة، وثراء ميدانه التفسيري، بحيث يقدم زادا مفاهيميا يتناغم مع جميع الموضوعات والميادين الحياتية لشمولية مضامينه وسعة مغازيه.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] بن عمرة، أحلام: نظرية الأفعال الكلامية: دراسة في فكر الغربيين وعلماء الأصول العرب، مجلة العربية، ع7 (2016م)، صـ85.

[2] Austin, John: How to do things with words, Oxford University Press, Amen House, London, 1962.

[3] بالخير، عمر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، طـ1، (2003)، صـ155.

[4]Charaudeau, Patrick: et dominique Maingueneau: Dictionnaire d'analyse du discours, Ed le seuil, paris,2002,p16.

[5] Orécchion C.K: Enonciation de la subjectivité dans language, ARMAND, cobin, paris, 1981, p:185.

[6] بن عمرة، أحلام: نظرية الأفعال الكلامية: دراسة في فكر الغربيين وعلماء الأصول العرب، مجلة العربية، ع7 (2016م)، صـ86/85.

[7] Austin, John: How to do things with words: p.14-15.

[8] Austin, John: How to do things with words: p.94.

[9] هارون، عبد السلام: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخائجي، القاهرة، طـ5، 2001، صـ,14-15.

[10] الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط، 1981، ج27، صـ132.

[11] للمزيد راجع: عبد الحق، صلاح إسماعيل: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، طـ2، لبنان 1993م، دار التنوير للطباعة والنشر.

[12] بوجادي، خليفة: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009م، صـ99/98.

[13] J.R, Searle: Speech Acts, An Essay In The Philosophy Of Language, Cambridge University Press, (1969).

[14] لطفي، مصطفى: اللغة العربية في إطارها الاجتماعي- دراسة في علم اللغة الحديث، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976م، طـ1، صـ231/230.

[15] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، (1423هـ/2003م)، صـ69/14.

[16] الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي المولى أبو الفداء (ت1127هـ): روح البيان، دار الفكر، بيروت، 2010م، صـ358.

[17] الخلوتي: روح البيان، صـ١١٠-١١١.

[18] آل صوينت، مؤيد عبيد: الخطاب القرآني (دراسة في البعد التداولي)، مكتبة الحضارات، ط1، بيروت، لبنان، 1431هـ/2010م، صـ104.

[19] بوفرومة، حكيمة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، دورية الخطاب- دار الأمل للطباعة والنشر، ع3، الجزائر، 2008م، صـ17.

[20] الطبري، محمد بن جرير: تفسير الطبري، ج21، صـ149.

[21] آل صوينت، مؤيد عبيد: الخطاب القرآني (دراسة في البعد التداولي)، صـ118.

[22] دزه يى، دلخوش جار الله حسين: الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم، صـ286. https://www.doi.org/10.31918/twejer.170.6

[23] دزه يى، دلخوش جار الله حسين: الأفعال الكلامية ونماذجها التطبيقية في القرآن الكريم، صـ287.

[24] الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004، صـ367.

[25] بوفرومة، حكيمة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، صـ19.

[26] الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، صـ372.

[27] الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، صـ389.

[28] بوقرة، نعمان: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، العدد17، صـ199.

[29] بوفرومة، حكيمة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقاربة تداولية، صـ22.